فباستثناء المحاولات السيزيفية التي توالت لثني بريطانيا عن تأييدها للمشروع الصهيوني، وما اقترن بهذه المحاولات، من وقت لآخر، من انشطة ضد سياسة الانتداب والصهيونية، فان القيادة الوطنية لم تقدم اية مبادرة ايجابية، لا على صعيد ايجاد مؤسسات تمثيل تبقي البلاد موحدة، بما يستوجبه هذا من مشاركة عرب ويهود فيها، ولا على صعيد عقد تحالفات محلية وعربية ودولية فعّالة تسند هذه الاسس.

وهكذا، بقيت الحركة الوطنية الفلسطينية، حتى العام ١٩٣٦، مفتقدة لزمام المبادرة في مواجهة المشروع الصهيوني المدعوم من بريطانيا، مثلما بقيت، ايضا، عاجزة عن تنظيم مجابهة فعالة لوقف العمل في تحقيق هذا المشروع. وصار الرفض، برغم عدالة الاسس التي يستند اليها، تقليديا فقد، بمضيّ الزمن، مقدرته على المساهمة في تقرير مصير البلاد بما ينسجم مع طموحات غالبية سكانها؛ كما فقد، بصورة خاصة، تأثيره على القرارات الجوهرية للسياسة البريطانية او لسياسة الحركة الصهيونية التي تعززت في داخلها، تحت تأثير السهولة النسبية التي تحقق بها الوجود القومي اليهودي في فلسطين، التيارات التي تعمل لبناء دولة يهودية صرفة.

فلما تم اللجوء الى السلاح آخر الامر، وتغلبت نوازع الثورة لدى الجمهور على تهيب القيادة الوطنية من الاصطدام مع بريطانيا، واندلعت ثورة ١٩٣٦، كانت مياه كثيرة قد جرت في نهر الاردن بين الاعوام ١٩١٨ و١٩٣٦، وكانت السلطات البريطانية قد عززت وجودها العسكري واكتسبت الخبرة في مقاومة الانتفاضات التي سبقت ثورة ١٩٣٦. والى هذا، كان الوجود اليهودي قد صار، بالفعل، وجوداً مميزاً، تسنده، فضلا عن سياسة بريطانيا وقدراتها الكبيرة، الوقائع الممثلة بتكون احياء ومستوطنات ومدن يهودية، كما تسنده التنظيمات اليهودية ووسائل الدفاع الخاصة بها.

ثورة ١٩٣٦ ونتائجها

عوامل الثورة، كما سبق ان ذكرنا، تراكمت بمضيّ السنين؛ حفزتها موجات الهجرة اليهودية الى فلسطين، وحركة انتقال الاراضي المتواصلة، والبطالة المتزايدة بين العاملين في صناعة عربية عاجزة عن المنافسة، وسياسة الافقار الحكومية وارتفاع الضرائب المفروضة؛ واججتها الخطوات الماثلة للعيان المتصلة بعمليات تأسيس الوطن القومي اليهودي كنقيض للوجود العربي، وامعان بريطانيا في تأييد المشروع الصهيوني، وتكرر رفض الاستجابة للمطالب العربية على الرغم مما ابدته الحركة الوطنية من استعداد لاعطاء بريطانيا مركزا متميزا في فلسطين.

وبهذا، دخلت البلاد الثلاثينات فيما القناعة تتزايد بأن «اضطرابات فلسطين السابقة والحالية انما هي ناشئة مباشرة عن السياسة البريطانية ـ الصهيونية، التي ترمي الى الغاء القومية العربية في وطنها الطبيعي، لكي تحل محلها قومية يهودية لا وجود لها»[٢٦]، كما ورد في البيان الذي اذاعته اللجنة التنفيذية بعد هبة البراق.

كما حفز عوامل الثورة واججها، على الجانب الاخر، التشدد الصهيوني وانتقال قيادة الحركة الصهيونية من محاولة التستر على اهدافها الحقيقية في فلسطين، كما كانت تفعل في اتصالاتها مع العرب في بداية الاحتلال البريطاني، الى الصراحة في اظهار مطلبها باقامة الدولة اليهودية وجلب يهود العالم الى فلسطين، وانتقال المنظمات الصهيونية الى مرحلة تشكيل المنظفات المسلحة وشبه المسلحة استعدادا لمواجهة العرب اذا ترددت بريطانيا في ذلك لاي سبب من